**Come Don Bosco *BS 7-8/2020* Il Contatto Visivo**

عن مجلة السالزيان الدورية 7-8 /2020 (بتصرّف)

**أن ألقاك بالنظر في عينيك**

تتضاءل في الأسرة فرص التقاء أفرادها بالنظرات.

هناك إحصائية تفيد بأن متوسّط الزمن الذي يقضيه ولي الأمر مع ابنه المراهق يقارب الاثنتي عشرة دقيقة في اليوم.

حتى وجبة العشاء لم تعد تجمع الأسرة سوياً لسبب مشاغل أفرادها المتعددة، بالإضافة الى الأذواق المختلفة في اختيار البرامج المتلفزة.

ومن الاثنتي عشرة دقيقة المخصصة للابن أو الابنة المراهقَيْن هناك عشر دقائق تُستَهلك لإعطاء الإرشادات أو للتأكّد من تنفيذ تلك المعطاة في اليوم السابق، والدقائق المتبقّية تُستنفَذ في مسائل واهية...

هناك شبه ابتهال شهير يقول: " آه! حبّذا لو تحوّلتُ الى تلفاز...لكان والداي سيضطرّان الى النظر إليّ وقتاً أوفر..."

\*\*\* اللقاء بالنظر في العينين هو التحديق في عينَي الشخص. معظم الناس لايفهمون كم هو حيوي هذا النوع من اللقاءات... مع أننا كلّنا نتضايق ممّن يحادثنا ونظراته موجّهة الى عدة اتجاهات ولا يحدّق نظره في عينَينا وهلة واحدة. الإنسان يحتاج الى أن أوجّه نظري إليه... وإلّا فما معنى كل ذلك العناء للتفنّن في الملبس والهيئة والقوام سوى استقطاب أنظار الآخرين ؟؟ أضف الى ذلك من يزاولون ثقب ووشم أجسادهم وما يعتمده الشبان من أغرب "الصيحات" وكأنها كلها تنادي: " انظروا إليّ ! "

\*\*\* اللقاء وجهاً لوجه هو أساسيّ للأطفال ليس فقط للتواصل وإياهم وإنما لإشباع احتياجاتهم العاطفية. الطفل يلجأ الى اللقاء وجهاً لوجه بذويه ليشبع احتياجه العاطفيّ. العينان تبثّان الحب. إنها لغة العاشقين... نظرة الوالدين تحمل في طيّاتها الحب والاهتمام العمليّ والتقدير والتفهّم. الابن يضاعف اجتهاده عندما يحسّ بنظرات والديه أو معلّميه تتابعه بحنان. من المؤسف أن كثيراً من الوالدين يجهدون أنفسهم في أمور كثيرة لصالح أبنائهم وينسون إهداءهم حنان "نظراتهم".

\*\*\* أصبح من المؤكّد أن نظرة التعاطف والتشجيع من قِبَل المعلم تزيد اجتهاد التلميذ وتساعده على استيعاب مايقال له بشكل أفضل.

\*\*\* خلاصة القول، إن إهمال اللقاء وجهاً لوجه هو ضرر إنساني غير طفيف وينمّ عن سلوك عديم المسؤولية. وممّا يزيد الطين بلّة هجمة الاتصالات الرقمية التي لارادع لها والتي تعتبر خطراً داهماً، فالهاتف الذكيّ يسهّل التواصل لكنه لايتيح اللقاء الطبيعي وجهاً لوجه:

- فالمتواصلون إلكترونياً لايستطيعون أن يستشعروا حرارة التجاور والتلاحم البصري.

- هناك استنتاج أن الأجيال الجديدة كثيرو التحادث إلكترونياً غير أنهم فقدوا احمرار الخجل ولديهم صعوبة في التحديق وجهاً لوجه، وهذا نوع من العجز على الصعيد الإنساني.

- في المعتقلات النازية كان محرّماً على المحتجزين أن ينظروا الى الحراس وجهاً لوجه لئلّا ينتاب الحراس إحساس بالرأفة فتنحسر قسوتهم تجاه الأسرى.

اللقاءات الفاشلة:

كل ماتناولناه حتى الآن يبدو بديهياً، لكن هذا غير صحيح، فليس كل لقاء وجهاً لوجه يحمل قيمة إنسانية. هناك لقاءات تعطّل النمو الإنساني وأخرى تساهم في تحفيزه:

\* "نظرة الشرطي" التي يستخدمها بعض الأهالي لمراقبة كل تحركات الأبناء، أضف الى ذلك سعيهم الى إثقال كاهلهم بملاحظاتهم المتكرّرة وبمحاسبتهم بعد كل خطوة يخطونها... نظرة الشرطي هذه لا تساعد على نموّ الأبناء أو التلاميذ، قد تصنع إنساناً منضبطاً لكنها لن تنتج إنساناً مهذّباً.

\* نوع آخر هو "نظرة التهديد" الصاعقة. "حدّق في عينيّ جيداً" يصرخ بعض الأهل وهم ينسون أن التهويل لم يساعد أحداً على النمو لكنه يحول الناس الى أقزام.

\* النوع الثالث من اللقاء وجهاً لوجه، وهو الأسوأ على الإطلاق، هو "نظرة اللامبالاة". اللامبالاة سلوك لايُطاق، يشلّ الحيوية، يُفقد الرغبة في البقاء. اللامبالاة هي الشقيق التوأم للوحشية.

اللقاءات الإيجابية:

\* "النظرة الكريمة"، تلك التي تولّد لقاءً ايجابياً. إنها تبصر ما لايراه الغير... كان رأي أحدهم في فنانة أنها مدهشة، فاعترض صديقه قائلاً: " ولكن، ألم تلاحظ أن لديها عيناً أصغر من الأخرى؟ ". " لا، أجاب الآخر، بل هي تملك عيناً أكبر من الأخرى! ". هذا الإحساس الإنساني يملكه أصحاب النظرة الكريمة الذين يؤكّدون ما صرّح به الكاتب الشهير فرنسوا مورياك: " عندما تحب إنساناً فأنت الوحيد الذي يكتشف فيه معجزات لايراها الغير ".

\* اللقاء وجهاً لوجه من خلال "نظرة تشجيع"، وهو دون شك ما يحفّز ويدفعك الى التحليق عالياً.

\* اللقاء وجهاً لوجه من خلال "نظرة ترحيب"، وهو ما يغمرك بسيل من الحب والحنان...

\*\*\* لقاءات وجهاً لوجه بهذه الميزات تحمل طاقات من الأَنْسَنة تتجاوز قيمة ملايين من اللقاءات الرقمية الإلكترونية مجتمعة كلّها معاً.

أ. ب.